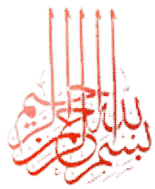

سورة الشمس
الشيخ
هاني حلمي
حفظه الله
www.manhag.net

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى وصلى الله وسلّم وبارك على النبي المصطفى وآله المستكملين الشرفَ ثمَّ أما بعد:
فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء همومنا وذهاب غمومنا، اللهم ذكرنا منه ما نُسِّينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك عنا
اللهم ارزقنا فهم القرآن و تدبر القرآن، واستودع فى قلوبنا آيات القرآن واجعلها شفاءً لما فى الصدور، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا .

تقديم

نتدارس بحول الله تعالى وقوته فى هذا اللقاء سورة الشمس فسورة الشمس ممكن أن نسمّيها سورة التزكية فى القرآن.

1-هى سورة مكية نزل قبلها سورة القدر وبعدها نزلت سورة البروج.

2-هى السورة السادسة والعشرون من حيث النزول.

تدور هذه السورة حول معنى قولهِ تبارك وتعالى{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس:9-10]

تعالوا نتأمل السورة ونقرأ هذه الآيات، ونرى ما فيها من معانى ونخرج بمجموعة من الواجبات العملية الخاصة بهذه السورة المباركة يقول الله تبارك وتعالى {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [سورة الشمس]

من وظائف الأنبياء

هذه السورة كما ترون تتكون من خمسة عشر آيه (15 آية)، أول ست آيات فيها قسم،

أقسم الله عزّ وجل الأول بالشمس ثمَّ بالقمر ثمَّ بالنّهار ثمَّ بالليل ثمَّ بالسماء ثمَّ بالأرض، وأقسم سابعاً بالنّفس .وألحق بعد أن قال {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس:7-8]. جاء بعد ذلك جواب القسم {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس:9] لو تأملتم هذه السورة سوف تجدون إذا كنا نقول أنَّ محور السورة يدور حول معنى أن التزكية الذي ورد في {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}.

ونعلم جيدًا أنَّ موضوع التزكية من وظائف الأنبياء.

تعرفون أنَّ الله عز وجل عندما أخبرنا عن دعاء الخليل إبراهيم أبا الأنبياء عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهو يقول {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة:129] حيث رتب الأعمال التى يقوم بها الرسول، الأول {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ...} ثم {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} أى يعلّمهم الكتاب والحكمة، تلاوة الآيات عليهم، تعليمهم الكتاب والحكمة أى الكتاب والسنة ثمَّ تأتى بعد ذلك التزكية..فقدم العلم على التزكية فإذا بالله تبارك وتعالى يستجيب دعاء الخليل لكن يرتب الامور بشكل مختلف كما قال سبحانه تعالى {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة:151]،

وكما قال سبحانه وتعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}[آل عمران: 164]، وكما قال سبحانه: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[الجمعة:2]، ثلاث آيات في القرآن تفيد استجابة الله تبارك وتعالى لدعاء الخليل إبراهيم، وتصدر الأمر على أنه أعظم المنة، وعندما تنظر كلمة مَنَّ في القرآن، تجد أن المنان هو الذي يُثقل عباده بالنعم لكن الترتيب كما قلنا قدم النزكية على العلم، قدَّم التزكية على العلم، ولذلك موضوع التزكية موضوع في غاية الأهمية ولابد أن نتفهم هذا الأمر فسورة الشمس تحكي عن هذا المعنى فمحور السورة يدور حول معنى التزكية،

معنى التزكية

التزكية في اللغة معناها: الطُهر، معناها: النماء، معناها: البركة، وهذه المعاني (الطهر والنماء والصلاح والبركة) هي المقصودة بمُصطلح التزكية، فالتزكية تخلية، التزكية: تطهير.

* **التزكية** تقوم على تخليص النفس من خبائثها، أنك تتخلص من رواسب الجاهلية، أنك تتخلص من آفاتك

وأصول الآفات في النفس البشرية كثيرة، مدارها أساساً على خمسة أشياء الكبر والعُجب واتباع الهوى والتسخط والتعلق بغير الله تبارك وتعالى.

ـبعض العلماء يشير إلى بعض الأمور الأخرى مثل موضوع حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة على اعتباره من أخطر آفات النفوس، والذي ينتج عنه غالب هذه الآفات.

ـ والبعض ينظر إلى هذه النفس البشرية وما فيها من معاني سلبية، وإذا أردنا أن نتتبع هذا المعنى علينا أن نرجع إلى وصف الإنسان في القرآن وسنجد وصف الإنسان في القرآن مليء بهذه المعاني السلبية، {إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[إبراهيم : 34]، {إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}[العاديات : 6]،{وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً}[الإسراء : 100]، {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ}[هود : 9]، تجد فيها معاني كثيرة{ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ}[العصر : 2]، فهذا الإنسان به هذه المعاني السلبية.

وظيفة التزكية

أنها تطهر الإنسان من هذه المعاني، التزكية لابد ـلأن الواحد منا إذا فهم طبيعة النفس البشرية وأنها تتلون بالألوان الثلاثة فتارة تكون ـوهذا هو الأصل

فهي أمارة بالسوء {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ}[يوسف : 53]،

وتارة تكون نفس لوَّامة تلوم صاحبها وتعاتبه على عدم عمله الصالح وهذه نفس طيبة قال الله تبارك وتعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة: 1-2]،

وتارة تكون نفس مُطمئنة، هذه النفس المطمئنة التي وصفها الله تبارك وتعالى في آخر سورة الفجر:{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي}[الفجر:27-30]، إذن النفس تتلون بهذه الألون، والمطلوب ماذا؟ المطلوب أن تكون النفس عادتها أو أغلب أحوالها ما بين النفس اللوامة وما بين النفس المطمئنة، هذه هي وظيفة التزكية، وظيفة التزكية، وهذا هو المعنى الذي نريد أن نصل إليه من خلال سورة الشمس.

ما العلاقة بين القسم والتزكية؟

علاقة القسم في أول السورة وقضية التزكية، تعالوا نحلل الأيات وننظر ما علاقة القسم الذي كان في أول السورة وقضية التزكية، تعرفون لماذا؟ لأن النفس بها كل المعاني التي أقسم الله عز وجل عليها في أول هذه السورة فكيف ذلك؟ انظروا عندما قال الله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}[الشمس :

[1]، فالشمس آية من آيات الله تبارك وتعالى، آية من آيات قدرة الله تبارك وتعالى، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} فوقت الضحى حين يصفو ضوء الشمس وهو أشد أوقات توهج الشمس، الشمس في وقت الضحى بداية الشروق إلى ان تصل إلى الظهيرة كأنها تتدرج في الحرارة وتتدرج في القوة، وتتدرج في الإنارة حتى تصل إلى القمة التي هي زاوية 90° وهذا متى؟ وهو عندما تصل لوقت الظهر.ما قبل ذلك هو وقت الضحى وقت الإشراق، وقت بداية توهج الشمس.

النفس البشرية فيها هذا المعنى.

فيها معنى الإشراق،

وفيها معنى التوهج،

النفس البشرية فيها النور هذا . فيها التدرج هذا. تجد فيها هذا المعنى. وفي النفس البشرية ضد ذلك قال تعالى :{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}[الشمس :1-2] { وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} القمر آية من الآيات، ولكن متى يكون القمر؟ القمر يكون عند وقت الليل.

ظلمـــة وإنـــارة هكذا النفس

وهنا الكلام على الشمس حين يحجب ضياءها الليل، وهذا الوقت الذي يظهر فيه القمر {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} يشعرك بمعنى مهم، ضوء القمر أقل كثيرًا من ضوء الشمس. الشمس فيها توهج، القمر دون ذلك. والقمر أصلاً مصدر إنارته تكون من الشمس كما تقول الحقيقية العلمية. {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} أعطتني معنى في التدرج، وأعطتني معنى في التوهج، وأعطتني معنى في الحرارة والقوة، لكن القمر بخلاف ذلك، النور الذي في القمر نور أخفت نور أدنى، فالقمر في وسط الليل. تجد ضوء يسير لكن يعتبر شيء جيد في ظلمة الليل لأنه مصدر الإنارة في ظلمة الليل. وهكذا في النفس هذا المعنى؛

ففي النفس هذة الآفات ولكنها لا تخلوا من خير

فالنفس فيها خير وفيها شر والمطلوب هو تنقية النفس من هذا الشر وزيادة ما فيها من الخير. {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} يُشعرني بهذا المعنى. وبعد ذلك يؤكد ذلك عندما ذكر النهار وذكر الليل فتلاحظوا بداية الموضوع تجد ماذا؟ نور الشمس، نور متوهج كبير، نور مشرق وبعد ذلك أقل من ذلك.

ثم {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} [الشمس:3] ونعود مرة أخرى إلى هذا المعنى، ونجد بعد ذلك {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} [الشمس:4] فهذه الآيات تُشعرنا بمعنى الظلمة ومعنى الإنارة. بمعنى تقلب الأحوال. كنا نقول أن النفس البشرية هذة تتقلب وتتلون بأشكال مختلفة، كما هو في الكون. وكأن الله عز وجل يريد أن يقول لنا أن إذا كانت هذه الظواهر الكونية موجودة {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات:21]. ففي النفس هذه المعاني ولكن تأملوا هذا الأمر واعرفوا أن ذلك كله بقدر الله سبحانه وتعالى، فإذا كانت الشمس يعقبها القمر، وإذا كان النهار يعقبه الليل، وإذا كان بعد الليل يأتي نهار، فلا ينبغي لأحد أن يظن في نفسه أنه على شاكلة واحدة. أو أنه هو أصبح سيئ ويقر بذلك. هو صاحب نفس أمارة، أو العكس.

قد تقول أنا الحمد لله أنا على حال طيبة، ونفسي مطمئنة، أو نفسي لوامة، لا انتبه! النفس فيها هذا وذاك فلابد أن تقهرها على الخير. لذلك تكلموا في موضوع تزكية النفس عن مُجاهدة النفس.

نفوس ....ونفوس ....؟

كيف أجاهد نفسي؟ وكيف أحاسب نفسي؟ كيف ألجمها بلجام الشرع . لأن النفس البشرية لابد في سياستها من مبدأ الثواب والعقاب، من مبدأ الترغيب والترهيب، كل هذا يشعرك إياه مفتتح هذه السورة {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا* وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} . أظلم بعد إنارة، يستر ويحجب ضياء النهار {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} قالوا هذا المعنى بعد ذلك، ذكر الله سبحانه وتعالى ذكر السماء والارض، ذكر العلو والسفول، السماء رمز من رموز العلو{ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} [الشمس:5-6]

{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} أي وبناء هذه السماء. وبناء السماء سبحانه وتعالى خلقها بغير عمد نراها، فالسماء تُشعرك بعلو، وهكذا النفس فيها علو.

تجد نفوس علية، ونفوس دنية، يقولون أن هناك من النفوس نفوس ذبابية،

نفوس دنية لا تقف إلا على القذر، وهناك نفوس علية تتوق إلى الجنة، نفس عليّة نفس طموحة نفس لا تنظر إلا إلى الفردوس الأعلى إلا إلى السماء. نفوس علية و نفوس دنية .

{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} أي و ما في بنائها من الملائكة و النجوم، و ذكر السماء وما بناها {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} للدلالة على حدوثها و بالتالي على حدوث الشمس والقمر، وأنَّ كل ذلك بتدبير الله سبحانه و تعالى، وكذلك تدبير أمر النفس بيد الله سبحانه و تعالى، اللهم دبر لي فإني لا أحسن التدبير.

هكذا تحتاج النفوس .....!

قال:{وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} يعني ماذا طحاها؟ أي بسطها.

- ♥ وقالوا: قسمها.
- ♥ وقالوا: أي ما خلق فيها.
- ♥ {.. وَمَا طَحَاهَا} وما خلق فيها.

وقالوا: وما يخرج منها من نبات، وعيون، وكنوز, فالأرض وما سواها سوى هذه الأرض حتى إنها لم تكن لينة جدًا و لم تكن قوية صلبة جدًا، بل هي مُناسبة للخلق ففيها الليونة وفيها الخشونة, الأرض بسطها, الأرض مهدها، الأرض أخرج منها الخير فبالتالي انظروا للأرض تُطحى، ماذا تحتاج؟

اليوم لو أن فلاحًا مزارعًا يريد أن يحرث الأرض في البداية ليزرع فيها البذرة لتخرج ثمرة, فلا بد من تسويتها، ومعنى التسوية هذا، ومعنى البسط هذا، المعنى تسوية الله سبحانه وتعالى لهذه الأرض هو بالضبط الذي نحتاجه في حرث النفوس، النفوس تحتاج أن تُخرج الشوائب منها, تحتاج لأن نُبسِطها, نمهدها، لأن الله تعالى قال هذا: {فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} [الروم:44] تمهد النفس، تمهدها بالضبط هذا هو المعنى {وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا}

وبعد ذلك جاء الكلام على مُرتكز الصورة {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} [الشمس:7] قالوا النفس :

- المقصود بها آدم ومن سواها: الله سبحانه وتعالى،
- وقالوا: النفس هي كل نفس، ومعنى سواها:
- أي سوى بينهم في الصحة وسوى بينهم في العذاب
- قالوا: {... وَمَا سَوَّاهَا} أي سوى خلقها، وعدل خلقها كما قال اللهُ تبارك و تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار:6-8]
- وقالوا: سواها بالعقل وفضلها بذلك.

انتبه ...! واجب عملي, فوائد

انتبهوا اكتب الآن الواجبات العملية و الفوائد التدبرية من سورة الشمس .

أول معنى {... وَمَا سَوَّاهَا} إذا كانوا يقولون التسوية بالعقل فأعظم شيء في مسألة تزكية النفوس هو موضوع حجد النفس بالعقل, كلمة العقل معناها في اللغة: زجر النفس, المنع, فهذه النفس تريد أن تعمل سوءا وتأمر بسوء و هذه النفس في طبعها التمرد، في طبعها اتباعها لهواها, النفس هذه كي أزكيها يجب أن تكون هناك برمجة عقلية, العقل يقول للنفس ففي هنا لا يجوز أن تقومي بهذا: لماذا؟ لأن هذا فيه هلاكك, لأن هذا فيه رميك لنفسك بالتهلكة, لأن هذا يؤدي بك إلى الضرر، من يقول هذا الكلام؟ العقل إذن لا بد من حجد النفس الأمارة بالعقل بالمنع من التمرد.

كيف يحصل هذا؟

المعادلة تمشي هكذا

أن نكون أصحاب عقول صريحة,يعني ماذا عقول صريحة؟

أي عقول مستنيرة بنور الوحي, الوحي يقول لا تفعل, افعل ولا تفعل، الوحي هو منار السبيل, الوحي هو الذي يوضح لي الطريق أين طريق الهداية؟ و أين طريق الغواية؟ يجب أن أفهم هذا المعنى.

إذن كيف أزكي نفسي ابتداء : {... وَمَا سَوَّاهَا} سواها بماذا؟ سواها بالعقل,

إذًا الله تبارك وتعالى خلق تلك النفس أولاً ثم سواها على حالة تقبل تلقي الأمرين

تلقي الفجور والتقوى

لاحظوا المعادلة تمشي هكذا؛ تمشي ليل ونهار، وشمس وقمر، وسماء وأرض، وفجور وتقوى.

الشيء ومقابله. النفس فيها الرغبة في الإقدام والرغبة في الإحجام، تريد أن تمشي وتريد أن تتأخر، تريد أن تنام وتريد أن تجري وتُسارع وتسعى، تريد أن تكون في علو وتريد أن تبقى في سفول، تريد شهوات وتريد أيضًا أن تطيع ربنا، النفس فيها الأمرين.

لأنَّ ربنا سبحانه وتعالى هيأها على هذا المعنى.

{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس:8] أعلمها وألزمها أنه يوجد طريق للفجور ويوجد طريق للتقوى، يوجد طريق للشقاء ويوجد طريق للسعادة.

إيـــــاك ....؟

إذًا يجب أن نضع في اعتبارنا أنَّ أنفسنا مهما بلغت من منزلة، سواء في السوء أو في الخير، هذا المعنى موجود فيها، في جبلتها، فالذي يترك نفسه الغارب، ويظن أن نفسه أصبحت في طاعة الله، مثلما كان الحارث المحاسبي كان يضرب مثال ويقول أننا بالضبط مثل العاملون بالسيرك الذين يظلوا يروضوا الحيوان إلى أن يألف فيصبح طيِّع، لكن يضعوه في السجن ويعطوه الجزرة ويعطوه العصا، فلمَّا يمرنوه ويدربوه ويظنوا أنه هكذا أصبح مؤهل وأصبح مُدرب، فلو فتحوا السجن له من الممكن أن في هذه اللحظة يعود إلى طبعه الأصيل المُفترس مرة أخرى.

إياك مع نفسك البشرية تظن أنها ستواتيك على الخير،

النفس البشرية لابد فيها من مُجاهدة، لابد معها من مجاهدة، لابد أن تقهرها على الخير قهرا.
هي فيها رغبة للخير لكن فيها أيضًا رغبات للشر.
{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا}؛ أعلمها بطريق الشر وطريق الخير، أعلمها بالطاعة والمعصية، رهبها ورغبها، ترهيب في مقابل الفجور، وترغيب في مقابل التقوى.

إذًا إيقاع الشيء في النفس الذي هو هذا الإلهام؛ أن تجد في النفس البشرية رغبة وجنوح للفجور.

إياك أن تظن أنك مهما بلغت من منازل في التقوى وفي الورع أن النزوع للفجور غير موجود، إنما ما الذي يحدث؟ الذي يحدث أنك تُخفي هذا المعنى.

أنك مثل ما سنقول بعد ذلك، أنه سيأتي يزكيها فينمي الرغبة في الخير فيها، وسيُخفي الرغبة في الشر فيها، إنما هناك أناس أخرى ستخفي الجانب المشرق الذي فيها، الذي هو {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وستظهر الجانب المظلم الذي فيها، الذي هو {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} والذي هو {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}، والذي هو {وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا}.

فقه معاملة النفس

إذًا هذه المعادلة لازم نكون نفهما جيدًا جدًا في فقه معاملة النفس؛ أن فيها {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} أن فيها فجور وتقوى، فيها تقوى موافقة للفطرة، وفيها فجور خارج عن الفطرة،

- **تجد بعض النفوس تنحرف {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } [الصف:5]**
- **وتجد بعض النفوس تجدها مريدة للخير، وتجدها راغبة في التقدم {وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ} [الحجر:24] توجد ناس تريد أن تتقدم، أناس نفوسها تريد أن تتقدم، تريد التقوى، وهناك أناس ليس عندهم ذلك، والاثنين متواجدين في النفس .**

لكن نحن ماذا نفعل؟

نعمل موضوع التزكية الذي جاء بعد ذلك في قوله تبارك وتعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا} [الشمس:9] أفلح من زكاها؛

- **قالوا زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال.**

- **قالوا: زكاها أي طهرها، إذًا الأصل أن فيها بلايا، وأن فيها مشاكل، وأن فيها آفات، فيجب أننا ماذا نفعل؟**

نطهرها، ويجب أن نعرف أن فيها سوء فلابد أن نُصلحها، فزكاها يعني يُطهرها، وأعظم ما يطهرها منه دنس الشرك، والتعلق بغير الله تبارك وتعالى، قال الله: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} [التوبة:28]

يُطهرها من الشرك بالإيمان، ويُطهرها من المعاصي بالتقوى، قال الله: {فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم:32] إذًا من الذي تزكو نفسه؟ أهل التقوى.

ومن أهل التقوى؟ الذين يعملون الطاعة على نور من الله يرجون ثواب الله، والذين يتركون المعصية على نور من الله يخافون عقاب الله.

معنى التقوى ...؟

- **التقوى: المعنى الجامع الذي فيه الرجاء وفيه الخوف.**

- **الذى به ردع النفس ومنعها إتقاء لعذاب الله تبارك و تعالى ووقاية للنفس من الوقوع فى وحل المعاصى**

♥ فهذه هى التقوى الرادعة {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس:9] ففاز بمطلوبه و نجا من مخاطر النفس الأمارة.

{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس:10] قالوا: أى أشقاها أو قالوا: أخفاها بالفجور والمعصية، أخفى المعانى الطيبة التى بها أخفى الشمس وأخفى النهار وأخفى السماء و أخفى التقوى، أخفاها بالليل بالقمر بالأرض بالفجور دسَّ نفسه أخفى نفسه ستر المعانى الجيدة فى نفسه التى كانت موجودة فيها.

{... دَسَّاهَا} قالوا: خسرها، أشقاها.

{..دَسَّاهَا} قال: أى أوقعها فى وحل المعاصى، انظروا كيف أنَّ المعنى خطير! فعلا والله عندما يقع الإنسان فى الوحل يصبح فعل ماذا؟ وحل نفسه بأنه ستر هذه النفس بوحل المعصية،

هذا هو معنى {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} هذا المعنى يجب أن نقف عنده وقفة يعنى معنى التزكية.

كيف ......؟ ولماذا ......؟

كيف تزكو أنفسنا؟ لماذا يجب أن تكون التزكية على رأس اهتماماتنا؟
السؤال ببساطة جدًا هل تستطيع أن تشرب ماء من إناء غير طاهر؟ بطبيعة الحال لو نريد شرب ماء صالح يجب أن نطهر الإناء ويجب أن يكون هذا الإناء خالى من الشوائب ومن أى شيء يعكر صفو الماء و هذا هو المعنى المراد بالتزكية، لابد من تخلية النفس من هذه الآفات، لذلك كان السلف رضوان الله عليهم لا يعلمون أحدًا العلم حتى يروضوا نفسه سنين، ويظهر لهم صلاح نيته.

قال الإمام النووى فى مقدمة المجموع: قد كان عبد الرحمن بن القاسم المصرى الفقيه المالكى أحد أبرز تلامذة الإمام مالك رحمه الله يقول: "خدمت الإمام مالك عشرين سنة كان منها ثماني عشرة سنة فى تعليم الأدب -تزكية النفس- وأخذت منه العلم فى سنتين"

وكان الإمام مالك يقول: "ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم ما نفع وعمل به صاحبه" وهذا يحدث عندما يزكى نفسه.
وقال الإمام مالك للإمام الشافعي: "يا محمد اجعل عملك دقيقا، وعلمك ملحا"
نريد العمل أكثر نريد أن نجتهد على أنفسنا أكثر، لابد من هذا المعنى حتى نحقق معنى قول الله تبارك وتعالى
{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: 14-15] {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}

خطوات عملية .

ماذا نفعل لنزكي أنفسنا ....؟

أولا : مبدأ وليتلطف ..

نأخذ هذه الخطوات .. مبدأ "وليتلطف" يقول الإمام ابن الجوزى فى صيد الخاطر:

"تأملت العلم و الميل إليه، والتشاغل به فإذا هو يُقوِّى القلب قوة تميل به إلى نوع قساوة، ولولا قوة القلب، وطول الأمل لم يقع التشاغل به. فإنى أكتب الحديث أرجو أن أرويه، و أبتدئ بالتصنيف أرجو أن أُتمه. فإذا تأملت فى باب المعاملات قلَّ الأمل، ورقَّ القلب، وجاءت الدموع، وطابت المناجاة، وغشيت السكينة، وصِرْتُ كأنى فى مقام المراقبة إلا أنَّ العلم أفضل وأقوى حجة، وأعلى مرتبة."

هو هنا يتكلم عن ماذا ؟

يقول: إنَّ الإنسان يجب أن يكون عنده فقه فى التعامل مع النفس بأنه متى يعطيها ماذا؟ يعنى هو يقول أنَّ العلم يُقوِّى القلب، والعلم يزيد اليقين، والعلم يجعل فى الإنسان أحيانًا نوع من القسوة، لكن علم المعاملات المقصود به علم معاملة الرب تبارك وتعالى، الكلام فى التزكية والرقائق، عندما الإنسان يقرأ فى هذه المعانى يرق القلب، وتأتى الدموع، والمناجاة تكون موجودة، والنفس تصلح بهذا المعنى، لكن قال أننا نحتاج العلم و نحتاج أن نتعلم لأنه أقوى حجة، وهو أفضل وأعلى مرتبة.

فضل في علمٍ خيٌرمن فضلٍ في عبادة، ومِلاكُ الدين الورع.

قال: والمعاملة التي هي الرقائق، وإن كثرت الفوائد التي أشرتُ إليها منها، فإنها قريبة إلى أحوال الجبان الكسلان، تجد الذي يتعلم تزكية فقط، عنده نوع من الخُمول بعض الشيء،

فما المطلوب ؟

قال: أننا نُعطي هذا ونُعطي ذاك، الذي هو معنى التلطف مع النفس، بمعنى أنها في وقت من الأوقات تريد رقائق، تُعطيها هذه الجرعة، لكن لا تقضيها رقائق طوال الوقت، أيضًا زكِّ النفسَ بالعلمِ، هذّب نفسك بالعلم، العلم يُهذّب النفس أيضًا، لكن عندما تاخذ منه جرعة زائدة، تجد القلب يقسو، إنما تحتاج أن تأخذ مواعظ، وتأخذ علم، تأخذ عقيدة، وتأخذ فقه، وتأخذ أصول، وتأخذ كذا، وتأخذ أيضًا معاني من معاني علم الرقائق، وعلوم السلوك، وعلوم التزكية، هذه المعاني نحتاجها سويًا، وهذا من التلطف مع النفس، فنحن نحتاج هذا وذاك، نريد المعنى الثاني على عكس التلطف، أحيانًا نتلطف مع النفس لكن هذا هو المبدأ، لكن نحن ذكرننا أننا نحتاج أحيانًا نأخذ بأنفسنا لطاعة الرحمن تبارك وتعالى

ثانيا : مبدأ يجاهدها ..

قوله تبارك وتعالى:{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ..} [الحج:78]

وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:69]

أما صلَّى النبيُّ -صلى اللهُ عليه وسلم- حتى تورَّمت قدماه؟

أما كان أبو بكرٍ يُكثِر البُكاء، كان أسيفًا، كان كثيف النشيج، كان طوال الوقت بكَّاء من خشية الله تبارك وتعالى؟

أما كان في خدِّ عمر خطَّان من آثار الدموع؟
أما كان عُثمان يختمُ القرءان في ركعة؟
أما كان عليّ يبكي بالليل في محرابه إلى أن تخضل لحيته بالدموع؟
أم كان يقول: يا دنيا غُرِّي غيري.

*ذكر الأولين *

أما كان الحسن البصري يحيا على قوة القلق، كان يفزع من الليل، ويقول: ذكرُ النار طيَّر النوم من عيني؟
أما كان سعيد بن المسيب يلازم المسجد حتى إنه مكث أربعين سنة لا تفوته تكبيرة الإحرام؟

أما صام الأسود بن يزيد إلى أن تلوَّن، فاخضر واصفر، وهذُل جسده من كثرة الصيام؟

أما قالت بنت الربيع خيثم: مالي أرى الناس لا ينامون، وأنت لاتنام؟ فقال إنَّ أباكِ يخافُ عذاب البيات؟

أما كان أبو مُسلِم الخولاني يعلق صوتًا في المسجد يؤدِّب نفسه: يا نفس، يا نفس، يا نفس لا تأخذينا إلى النار، يا نفس: قومي لله، يا نفس لن أدعك تودي بنا للمهالك، أما صام يزيد الرُقَاشي أربعين سنة، وكان يقول: والهفاه، سبقني العابدون، أربعين سنة يصوم ويقول: سبقني العابدون إلى الله.

يا حسرةً على العباد، أما صام منصور بن المُعتمر أربعين سنة؟

أما كان سفيان الثوري يبكي الدم من الخوف؟

أما كان إبراهيم بن أدهم يبول الدم من الخوف؟

يا نفس أما تعلمين أخبار الأئمة الأربعة في زهدهم وفي تعبدهم؟ أما سمعتِ عمَّا كان يصنع أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد – رضوان الله عليهم- إذًا إياكِ أيتها النفس من أن تخلدي إلى الدنيا، إياكِ أيتها النفس أن تكوني هكذا مائلة للكسل، قومي يا نفس، هذا معنى قول الله تبارك وتعالى:{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ..} معنى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا ...} جاهدوا أنفسهم لله تبارك وتعالى، فزكُّوا تلك النفس، لكن كيف تزكو؟ كيف تزكو؟

أول شيء
1- يتلطف في المُعاملة
2- يجاهدها.

يجمع ما بين التلطف وما بين المجاهدة، ولا تناقض، في وقت من الأوقات يشدّ عليها، وفي وقت من الأوقات يتلطف معها.

.. ثالثا : مبدأ الإخلاص

النفس البشرية تتخلص بالإخلاص، أخلِص تتخلص، أخلِص تتخلص، ومن أعظم الأشياء التي يأتي بها الإخلاص أنك تعمل الأعمال سرًا. من استطاع أن يكونَ له خبءٌ من عملٍ صالح، فليصنع.

النفس البشرية تتخلص إنها تتعلم ماذا يعني أنها تريد وجه الله؟

فلو مالت النفس لشيء لا يحبه الله، الإخلاص يُعيدها مرة أخرى، الإخلاص يُخلصها من نوازع هذه الدنيا في قلبها.

بأنك تبني قضية ورسالة تعيش من أجلها اسمها رضا الله

كيف يحدث ذلك؟

بأن تتعرف على ربنا سبحانه وتعالى

كيف يحدث ذلك؟

بأن تتعلم أسمائه وصفاته وتتدبر في نعمه التي أنعم بها عليك وفي آلآئه وفي نعمه الموجودة في الكون والموجودة حولك وفي كل مكان.

هذا المعنى هو الذي يخلص نفسك من أسر المعاصي من أسر التأمير بالسوء.

رابعا : مبدأ المداومة ..

بعد التلطف وبعد المجاهدة وبعد الإخلاص الأعمال الصالحة الثابتة على مبدأ المداومة والتدرج أدومهُ وإن قل يُزكي النفس، يزكي النفس يعني مثلاً:

اليوم سأستغفر ألف مرة, وغدا سأجعلها ألف وخمسمائة مرة.

وسأزيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بدلاً من أن تكون مائة مرة سأجعلها أكثر من ذلك بشكل تدرجي.

اليوم سأصلي خمسين ركعة، سأصلى غدًا من باب {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق:19]

أريد أن أصلى مائة ركعة.

اليوم سأجعله باب من أبواب الصدقة سأتصدق اليوم بشيء قليل يسير، غدا سأجاهد نفسي على معنى

{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }[آل عمران:92]

أعمال مُتدرجة ثابتة كلما نصل لعمل نثبت عليه ثم نبدأ ننتقل إلى عمل أخر وهكذا, بهذه الأعمال تزكو النفس بلا شك.

خامسا : الإقلاع عن المعاصي ..

تزكو النفس بالإقلاع عن المعاصي فوراً, فالمعاصي تُفسد النفس وتمُيت القلب.
لابد من الإقلاع الفوري وأن نضع في الإعتبار خطورة آفات النفوس مثل الكبر والعجب والغرور والرياء وحب الثناء وهذه المعاني.
لابد أن أقرأ في كتب التزكية وأتعلم كيف أتخلص من كل آفه من هذه الآفات،
ولو خرجت على مدى شهر مثلا بنزع آفه وتخلصت منها، سيكون هذا أعظم ما يتُقرَب به إلى الله تبارك وتعالى.

سادسا : ترويض النفس ..

أن يكون هناك اهتمام بالغ بترويض النفس.

تزكو بالاهتمام بترويضها، أن هذا يكون متوافر وموجود.

وكيف يحدث هذا؟

بالمبدأ الأساسي في محاسبة النفس الذي يبتدئ **بالمُشارطة** ثم تأتي **المراقبة** ثم تأتي **المحاسبة** ثم تأتي مرحلة **المعاتبة** وتأتي مرتبة **المعاقبة.**

أنه يفعل كل هذا الكلام ويشترط على نفسه أن يعمل بعض الأشياء، ويراقب نفسه في هذا الأمر، ويحاسبها محاسبة الشريك لشريكه ويعاتبها" إلى متى يانفس؟ ستوصليني إلى داهية! "،

يأتي مبدأ العقاب للنفس كما قلنا يجاهد ويتلطف يقوم بالإثنين معًا، هذا المعنى تزكو به النفوس.

ببساطة جدًا لو أردتم أن نتكلم عن معنى التزكية في كلمتين بأن نكون متفهمين

لطبيعة النفس التي لاحظناها في مفتتح سورة الشمس.

وفي نفس الوقت يكون لدينا هذه المبادئ، مبدأ التلطف والمجاهدة ومبدأ الإخلاص ومبدأ التدرج العملي ومبدأ الترويض للنفس وهذا يكون بسياسة العصا والجزرة بكلمة واحدة، كلما قلت لنفسك لا زدت درجتك، كلما غبت عن حظ النفس زادت قيمتك عند الله تبارك وتعالى وزاد ثمنك.

هذا هو المعنى الأساسي في التزكية.

*قوم ثمود *

بعد ذلك السورة ضربت مثال بقوم ثمود، "ثمود" القرآن ذكر هذه القبيلة من قبائل العرب البائدة الذين كانو يسكنوا في الحجر، وهذا المكان هو بين الحجاز وبين تبوك.

هذا المكان يُعرف الآن باسم مدائن صالح، هؤلاء القوم طغوا وبغوا وقال قائلهم:
من أشدُّ منّا قوة؟

وربنا سبحانه وتعالى ذَكَر هذا المعنى في غير ما آية، ذِكر ثمود وطغيان ثمود. هنا اللهُ جلّ وعلا يقول
{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} [الشمس:11]
أي بطغيانها
{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس:12- 13]
الله سبحانه وتعالى أرسل إليهم نبيه صالح
{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأعراف:73]
-قصة ناقة صالح سنُعرج إليها، لكن أول معنى
نريد أن نفهم

لماذا الله سبحانه وتعالى ضرب المثال بثمود؟

-لأن ثمود هي مضرب المثل الطغيان، والنفس البشرية بطبعها مائلة للطغيان.
-قال الله تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى *أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق:6-7]
-وفي ثمود قال ربنا{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} فكانوا طُغاة، كانوا بُغاة، كانوا ينحتون من الجبال بيوتا فارهين، كانوا في خيرات ونعيم كما قال الله تبارك وتعالى {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ*إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} [الشعراء: 141-153]

-وما استجابوا رغم كل النعيم الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى إياه، انظروا عندما يتكلم القرآن عن ثمود

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} [النمل:45-47]

-اطيرنا: أي تشاءمنا منك، ابعد عنا.

ونزل بعد ذلك عذاب الهون عليهم كما قال الله جل وعلا في سورة فصلت

{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فُصلت:17]

طغاة والطغيان ماذا فعل بهم؟؟

-جعلهم عمىّ، لا يرون الحق،

{ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى في شأنهم {وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ * فَعَتَوْا...} [الذاريات:43]

انظروا العتو، انظروا الطغيان

{فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ} [الذاريات: 44-45]

-كذبوا بكل النذر قال قائلهم

{ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر:24]

-كذبت ثمود بهذه الآيات فكان العقاب كما قال الله: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} [الحاقة: 5]

-إذن لماذا أهلكوا بالطاغية؟

لأن الجزاء من جنس العمل، كانوا طغاة فأهلكهم بالطاغية، أهلكهم بما طغى عليهم، بما أنزل بهم عذاب الله وبأسه الشديد، وأنزل بهم الصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها.

*ما هو الرابط *

الرابط كما قلنا هذا مثال لأمثلة النفوس التي قال الله فيها: {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}
ماذا فعل هؤلاء؟؟ طغوا وتكبروا، استشعروا أنهم أشد الناس قوة فقال الله: {إِذِ انْبَعَثَ ....} انبعث أي اندفع ثائرًا فاجرًا منطلقًا منفعلاً.
-{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}: قالوا: أشقاها
رجل كان يُدعى قُدار بن سالم، {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}قالوا قُدار بن سالم هذا كان يُضرب به المثل في الشقاوة يُقال أشأم من قُدار، وقيل في ذلك أشقى الأولين والآخرين قُدار بن سالم فسُمي بذلك في القرآن أشقاها.

-وقالوا أشقاها: أي أعلاها، أعلاها في الشقاء وأشدهم شقاءً.

{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ...}أي نبي الله صالح، {...نَاقَةَ اللَّهِ} أي احذروا ناقة الله أن تمسوها، إياكم أن تمسوا هذه الناقة.

إياكم وهذه الناقة فلا تعقروها وحذَّرهم أن يمسوها بسوء أي يوم شُربها المُخصص لها {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس: 13] أي وشُربها أي في اليوم المُخصص لها أن تشرب فيه، فلا تتعرضوا لها في هذا اليوم {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس:13] {فَكَذَّبُوهُ...} [الشمس: 14] أي كذَّبوه في هذا التحذير وتعرضوا لناقة الله بسوء، وكذَّبوه في كل رسالاته.

- {...فَعَقَرُوهَا...} فقطعوا أحد قوائم البعير ليتمكنوا من نحرها حتى سقطت ونحروها
- {...فَعَقَرُوهَا...} أي فنحروها مع أنَّ النبي حذرهم من عاقبة ذلك، حذرهم هذه الآية أن يمسوا هذا الناقة بسوء فما كان من الله عز وجل إلا أن أنزل بهم بأسه الذي لا يُرَد عن القوم المجرمين
- {...فَدَمْدَمَ ...} أي غضب عليهم ربهم بسبب هذه الذنوب بسبب هذه المُخالفة {...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [الشمس: 14] أي فسوَّى الأرض فوقهم فسارت ديارهم خالية

- {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس : 15] أي لا يخاف الله عز وجل من شيء، لا يخاف تبعة تسوية الأرض فوقهم فإذا أنزل بأسه سبحانه وتعالى فلا مردَّ له، هذا الموجز لقصة ثمود هنا.

أليس لك .... تخاف ...فيقول ...؟

لكن إذا نظرنا نظرة خاصة في قصة ثمود هذه القبيلة التي كذَّبت نبي الله صالح بسبب الطُغيان لو تأملنا ما كان السبب في نزول العذاب بهم، وهنا اللحظة التي لا ينبغي أن تمر عليك هكذا مرور الكِرام لما قال الله : {...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ...} [الشمس: 14]

- ♥ أليس لك ذنب تخاف أن يغضب عليك الرب فيقول اذهب لا غفرت لك؟
- ♥ أليس بك ذنب تخاف أن يُعاقبك الله عليه أشد العقوبة فتجد نفسك وقد حُرمتَ الرزق؟ وقد حُرمتَ الطاعة؟ وقد ضاقت نفسُك بما رَحُبَت؟ وقد صرت تُعاني من آفات نفسية، وصرت تشعر بالوحشة، وصرت لا تجد توفيقًا دائمًا مخذول دائمًا لا تستطيع فعل شيء؟

أتذكره .....؟

هذا هو معنى أن الإنسان منا يغفل عن {...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ...} [الشمس: 14]
بعض الناس لا تفهم هذا المعنى جيدًا، وتظن أن هذا الأمر عادي أن يفعل الواحد منا ذنب..يا أخي أخرجَ آدم من الجنة بذنب، ذنب واحد وطُردَ إبليس من الجنة، من جوار الله تبارك وتعالى، من مصَّاف الملائكة بذنب بمُخالفة واحدة فما بالك؟ لذلك إياك أن تستهتر بالذنوب.
يا رب تُب علينا توبة ترضى بها عنا{...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ...} [الشمس: 14] أريدك اليوم تظل تُردد هذه الآية {...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ...} [الشمس:14] اقرأها وردِّدها عشر أو عشرون أو خمسين أو مائة مرة وكل مرة وفي كل مرة تتذكر ذنب وتقول لله بقلبك

يا رب لا تغضب عليّ يا رب... ياربِّ لا تغضب عليّ يا رب.

- {...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ...} [الشمس: 14]
- {...بِذَنبِهِمْ...} أتذكر الذنب؟
- {...بِذَنبِهِمْ...} أتذكر الذنوب ؟
- {...بِذَنبِهِمْ...} أتذكر الذنب الذي كلما تذكرته حينها لا تريد الحياة ولا البقاء،

انزع وازرع

أما تخاف عقباها......؟

- وحينها تريد أن تنادي كما يُنادي الكافر {...يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً} [النبأ: 40]
- ياليتني ما عشت ولا حييت حتى لا أقترف هذا الذنب،

- تذكر الذنب وتذكر {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...} [الجاثية:21] عندما ترى الناس تُسابق للخيرات، عندما ترى الناس تُعتق رقابهم من النار، عندما ترى الناس تُغفر ذنوبهم، وعندما ترى الناس وهم في أعلى المنازل وأنت خاسر وأنت خائب، وأنت لا تُبلَّغ ...؟
- فتذكر الذنب وتذكر {...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ...} [الشمس: 14] وعندما ترى عزته سبحانه وتعالى، وعندما ترى قدرته سبحانه وتعالى، وعندما ترى أنك لا تُساوي شيئا {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس: 15] لو أهلكك لو صرت في النار، ماذا سينقص من ملكه؟ وما سيزيد بطاعتك أصلاً ؟ لن تنفعه طاعاتنا ولا تضره معاصينا {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس: 15]

إذا أراد أن يقول لشيء كن يكون، يا عبد الله أما تخاف عقباها؟ أما تخاف عاقبة الذنوب؟ الله لا يخاف من عاقبة إهلاك الناس بسبب ذنوبهم، فيا عبد الله ويا أمة الله يا ناس رددوا هذه الآية واجعلوها سبب لوقاية النفس من آفاتها.

إذًا أخذنا الدرس كيف {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا} [الشمس:9] فنحن نحتاج جرعة الخوف هذه، نحتاج الإحساس بعقوبة تمرُّد النفوس، نحتاج أن نُذكِّر النفوس بلجام التقوى، نحتاج أن نُشعر النفوس بعواقب البُعد عن الله سبحانه وتعالى {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس:15]

درس اليوم هو درس في التزكيَّة، درس في فقه التعامُل مع النفس، درس في فهم النفس، درس في كيفية تخليص النفس من شوائبها على قاعدة " انزع وازرع" على قاعدة " التخلية والتحلية " يا رب نكون قد بلغت أنفسنا الرسالة يارب نكون قد فهمنا هذه المعاني عن ربِّنا تبارك وتعالى.

المعاني والهدايات من سورة الشمس

- ♥ هذه السورة وصَّلت إلينا معاني كثيرة وهدايات كثيرة، وجعلتنا نرى قدرة الله تبارك وتعالى.
- ♥ والآيات وضحت لنا من أول القسَّم حتى{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس: 15] قدرته سبحانه وتعالى.
- ♥ بيَّنت لنا متى يكون الإنسان على طريق الفلاح ومتى يكون على طريق {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر: 2]
- ♥ رغَّبتنا في الإيمان والعمل الصالح، ورهَّبتنا من الشِرك والمعاصي.
- ♥ وضحت لنا أن نجاة العبد من الناريتوقف على تزكيَّة النفس وعلى تطهيرها من الذنوب والمعاصي.
- ♥ حذَّرتنا من الطغيان مثلما فعل ثمود وكما أسرفوا على أنفسهم في الشر والفساد فكان الهلاك والدمار
- ♥ وفي نفس الوقت كانت سلوى للنفوس، كل داع إلى الله عز وجل وكل مسلم غيور على دينه ذِكر ثمود يُذكِّرك بمحنة الأنبياء في معاملة قومهم وأن العبرة ليست بالناس الذين يستجيبون إنما العبرة بأداء الأمانة.

يارب أكون قد بلغت هذه المعاني إلى القلوب وتكون فيه زكاة للنفوس.

فستذكرون ما قلت لكم وأفوِّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.